



Source : AN - NAHAR
Date : 13.4.95
Photo No. : 173

عشرون عاما

ينقسم الشعب اللبناني الى فئتين: فئة الذين سيتساءلون في لحظة من اللحظات خلال هذا النهار، واذا فطنوا الى المناسبة، عما كانوا يفعلونه في مثل هذا اليوم قبل عشرين عاما، وفئة الذين لن يستطيعوا طرح مثل هذا السؤال على انفسهم، حتى اذا كانوا يعرفون المناسبة، لانهم لم يكونوا قد ولدوا بعد.

ليس هذا التقسيم تفصيلا، ذلك ان هاتين الفئتين شبه متكافئتين. فاللبنانيون الذين لم يبلغوا العشرين يشكلون ٤٨ في المئة من المجتمع، ما يعني ان نصف الشعب اللبناني لم يشهد بداية هذا الحدث المائل الذي شكلته الحرب في تاريخ هذا البلد.

في الحقيقة، يمكن الذهاب أبعد من ذلك وضم مجموعة اخرى الى هذا النصف، وهي مجموعة الذين لم يكونوا قد بلغوا سن الادراك، حتى لا نقول الوعي. واذا حددنا هنا السن بالعاشرة (لسهولة الحسابات) ادركنا ان ثلثي الشعب اللبناني لم يشهدوا او لم يعوا لحظة اندلاع الحرب.

تنطوي هذه الملاحظة على استنتاجات لا يمكن الاستهانة بها، منها ما يندرج في خانة علم التاريخ، ومنها ما يتعلق بتشكّل الوعي اللبناني في هذه المرحلة.

في الجانب التاريخي، يقود التنبّه الى التشكيل العمري للمجتمع اللبناني الى ادراك المسافة التي باتت تفصلنا عن اندلاع الحرب. ويعني ذلك في ما يعنيه انه صار ضروريا النظر الى الحرب من منظور تاريخي علمي، ذلك ان الاستذكارات الصحافية الطابع التي كانت غالبية لفترة لم تعد كافية على الاطلاق. ليس هنا المجال لمناقشة امكان التأريخ العلمي للحرب، فقد تمت البرهنة على ذلك في أطر اكااديمية. المهم في الامر هو الاقتناع ان الذاكرة التي يبني عليها معظم الذين عاشوا الحرب وعيهم لم تعد قابلة للتعميم في الوقت الذي لم يعد يشكل هؤلاء الا أقلية. صحيح ان الذاكرة تتوارث، وهذا ما يحصل مع بعض جيل اليوم. الا انها في هذه الحال لا تعود ذاكرة خالصة، بل تصبح مادة لدراسة انثروبولوجية.

يقود الكلام عن الذاكرة الى الخوض في مناقشة ما يشكل وعي المجتمع اللبناني، ليس فقط بازاء الحرب وألياتها وطبيعتها وحجم المسؤوليات التي يتحملها هذا الطرف او ذاك في اندلاعها ثم في استمرارها واتما ايضا بازاء اعادة بناء الدولة واحياء السياسة فيها. اذا كان ثلثا المجتمع اللبناني لم يشهدوا او لم يعوا اندلاع الحرب، فهنا لا يعني انهم لم يحددوا موقعهم فيها، سواء بالمشاركة او بالتواطؤ او بالسكوت. على العكس يمكن الجزم بان وعي هذه الفئة تشكل على ضوء انماط الفكر السياسي التي سادت في الحرب، خصوصا في مراحلها الاخيرة. ويزيد من حدة هذه التأثيرات ان هذه الفئات نفسها تهمل بطبيعة الحال ما كان عليه لبنان قبل الحرب، بسيئاته وايجابياته.

ان الاخذ بهذه الاعتبارات يجعل من دراسة وعي المجتمع اللبناني ناته، بعد عشرين سنة على اندلاع الحرب، امرا في غاية الصعوبة. غير ان مشقة مثل هذه الدراسة لا تعفي المهتمين بالشأن العام من مهمة الاضطلاع بها وصولا الى العمل من اجل التأثير في اعادة تشكيل هذا الوعي.

هذا تحديدا ما كان يجب ان تساهم فيه الحملة الانتخابية هذه السنة، لو قدر لها ان تدور في شكل طبيعي. وهذا تحديدا ما كان مطلوبا من المرشحين الى رئاسة الجمهورية لو لم ينصبّ توافق المحبطين والمحيطين على تأجيل السياسية حتى العام ٢٠٠٠.

سمير قصير